

صيد الخاطر

291 - - فصل : الزهد بلا إخلاص .

تأملت على متزهدي زماننا أشياء تدل على النفاق و الرياء و هم يدعون الإخلاص .
منها أنهم يلتزمون زاوية فلا يزورون صديقا و لا يعودون مريضا و يدعون أنهم يريدون
الانقطاع عن الناس اشتغالا بالعبادة .

و إنما هي إقامة نواميس ليشار إليهم بالانقطاع إذ لو مشوا بين الناس زالت هيبتهم .
و ما كان الناس كذلك [كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعود المريض و يشتري الحاجة من
السوق] و أبو بكر Bه يتجر في البز و أبو عبيدة بن الجراح يحفر القبور و أبو طلحة أيضا
و ابن سيرين يغسل الموتى و ما كان عند القوم إقامة ناموس .

و أصحابنا يلزمون الصمت بين الناس و التخشع و التماوت و هذا هو النفاق .
فقد كان ابن سيرين يضحك بالنهار و بين الناس و يبكي بالليل .

و قد رأيت من المتزهدين من يلزم المسجد و يصلي فيجتمع فيصلون الناس بصلاته ليلا و نهارا
و قد شاع هذا له فتقوى نفسه عليه بحب المحمدة .

و النبي صلى الله عليه و سلم قال في صلاة التطوع : [اجعلوا هذه في البيوت] .

و في أصحابنا من يظهر الصوم الدائم و يتقوت بقول الناس : فلان ما يفطر أصلا .

و هذا الأبله ما يدري أنه لأجل الناس يفعل ذلك لولا هذا كان يفطر و الناس يرونه يومين أو
ثلاثة حتى يذهب عنه ذلك الاسم ثم يعود إلى الصوم .

و قد كان إبراهيم بن أدهم إذا مرض يترك عنده من الطعام ما يأكله الأصحاء .

و رأيت في زهادنا من يصلي الفجر يوم الجمعة بالناس و يقرأ المعوذتين و المعنى قد ختمت
! .

فإن هذه الأعمال هي صريحة في النفاق و الرياء .

و فيهم من يأخذ الصدقات و هو غني و لا يبالي أخذ الظلمة أو من أهل الخير و يمشي إلى
الأمراء يسألهم و هو يدري من أين حصلت أموالهم .

فإن في إصلاح النيات فإن جمهور هذه الأعمال مردود .

قال مالك بن دينار : [و قولوا لمن لم يكن صادقا لا يتعننى] .

و ليعلم المرأى أن الذي يقصده يفوته و هو التفات القلوب إليه .

فأنه متى لم يخلص حرم محبة القلوب و لم يلتفت إليه أحد و المخلص محبوب .

فلو علم المرأى أن قلوب الذين يرأئهم بيد من يعصيه لما فعل .

و كم رأينا من يلبس الصوف و يظهر النسك لا يلتفت إليه و آخر يلبس جيد الثياب و يتسم و القلوب تحبه .

نسأل الله إخلاصا يخلصنا و نستعيد به من رياء يبطل أعمالنا إنه قادر